Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (9)Issue (2)February(2026)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

الحروب في حقبتي الجاهلية وعصر الرسالة المحمدية دراسة في الدوافع والاسباب (تأصيل تاريخي ومقارن)

م.م. علي حميد جفات عبد الحمزة
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية / قسم التاريخ
alihameed@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص:

لم تكن الحرب في الوجدان الجاهلي مجرد صدام عابر، بل كانت ضرورة وجودية أملتها جغرافية القلق وشح الموارد؛ فبين بئر ماء ومرعى وكلأ، تشكلت أيام العرب" كمرآة تعكس صراعاً مريراً على البقاء، وفي هذا التيه الصحراوي انتصب "الثأر" كقانون مقدس لا يرد، يغديه شعر حماسي كان هو "الديوان" الذي يخلد المفاخر ويؤجج نيران الضغينة لمدى اربعين عاماً كما في داحس والغبراء.

لكن هذا المشهد العبثي لم يلبث أن انبلج عنه فجر الرسالة المحمدية، ليحدث انقلاباً جذرياً في فلسفة القوة؛ فنزع عن السيف غلاف العصبية القبلية والبسه ثوب العقيدة والقيم الإنسانية ولم تعد الغاية مغنماً أو تفاخراً، بل أضحى القتال وسيلة اضطرارية لرد المظالم وحماية المستضعفين محكوماً بميثاق أخلاقي صارم يقدم السلم ويحرم الاعتداء على النفس والديار، وهكذا تتبع الدراسة رحلة العقل العربي وهو ينصهر في بوتقة "الأمة"، مخلفاً وراءه أوزار الجاهلية، ليعيد الإسلام صياغة مفهوم القوة كأداة لبناء الدولة وإرساء العدالة، محولاً الحرب من "ساحة للنهب" إلى "رسالة للبناء الحضاري" والرحمة بالبشرية. **الكلمات المفتاحية: (الحرب، الجاهلية، دوافع، الإسلام)**

Abstract:

In pre-Islamic consciousness, war was not merely a passing clash but an existential necessity dictated by the geography of anxiety and the scarcity of resources. Between a well of water and a pasture of grazing land, the days of the Arabs were formed like a mirror reflecting a bitter struggle for survival. In this desert wilderness, "revenge" stood as a sacred and unalterable law, fueled by rousing poetry that served as the "collection" of deeds, immortalizing glories and stoking the flames of resentment for forty years, as in the story of Dahis and Ghabra. However, this absurd scene was soon overtaken by the dawn of Muhammad's message, bringing about a radical revolution in the philosophy of power. It stripped the sword of its tribal garb and clothed it in the mantle of faith and human values. The goal was no longer plunder or boasting; rather, fighting became a necessary means to redress grievances and protect the vulnerable, governed by a strict moral code that prioritizes peace and forbids aggression against life and home. Thus, the study traces the journey of the Arab mind as it was forged in the crucible of "the Ummah," leaving behind the burdens of pre-Islamic ignorance, so that Islam could redefine the concept of power as a tool for building the state and establishing justice, transforming war from a "field of plunder" into a "message of construction." Civilizational" and compassion for humanity.

التمهيد

(فلسفة الصراع والحروب في المجتمع العربي القديم: من القبلية إلى العقيدة)

تعد الحروب والنزاعات ظاهرة إنسانية موغلة في القدم، ارتبطت وثيقاً بتطور المجتمعات البشرية وأنماط تفاعلها، وفي هذا السياق، لم يكن المجتمع العربي في العصر الجاهلي استثناه، إذ اتسمت حياتهم بعدم الاستقرار المادي والاجتماعي، مما جعل من الحرب وسيلة حيوية للبقاء أو أداة لفرض السيادة ، وقد تشكلت هذه الصراعات نتيجة تضافر جملة من الظروف الموضوعية، سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو

اجتماعية صبغت شبه الجزيرة العربية بصبغة الاضطراب الدائم ملامح الحرب في العصر الجاهلي (أيام العرب) اتخذت الحروب في الجاهلية طابعاً بنيوياً، حتى أصبحت سمة مميزة للشخصية العربية آنذاك ويمكن حصر الدوافع الرئيسة لهذه الحروب على ثلاثة محاور:

المحور الاقتصادي: ارتبط بالبحث عن الموارد الشحيحة في بيئة صحراوية قاسية مثل الكلاء والمرعي ومصادر المياه بالإضافة إلى الغزو على القوافل التجارية كوسيلة لتعزيز الموارد المالية، اما المحور السياسي والقبلي ان تجلى في التنافس

على بسط النفوذ والسيادة بين القبائل الكبرى، وظهور نظام الأحلاف القبلية حيث كانت القبائل الصغرى تنضوي تحت لواء القبائل الأقوى طلباً للحماية وصوناً للثار. وأخيرا المحور الاجتماعي والقيمي برز (الثأر) كقاعدة قانونية مقدسة تسمو فوق كل اعتبار، حيث كان العربي يحرم على نفسه الملاذ كالطيب والخمر والنساء فالمهلهل عندما قتل أخيه كليب جمع "أطراف قومه ، ثم جز شعره ، وقصر ثوبه ، وآلى على نفسه ألا يهتم بلهو ، ولا يتم طيباً ، ولا يشرب خمراً ، ولا يدهن بدهن حتى يقتل بكل عضو من كليب رجلا من بني بكر بن وائل ."[١] حتى يسترد كرامة قبيلته، فالحرب هنا لم تكن مجرد صراع مادي، بل كانت دفاعاً عن العرض والشرف القبلي وبالتعريج إلى التحول القيمي في عهد النبوة فمع بزوغ فجر الإسلام، حدث انتقال نوعي في مفهوم الحرب ودوافعها، فلم تعد الحرب وسيلة للنهب أو استرداد كرامة قبلية ضيقة، بل أصبحت أداة لحماية العقيدة وإرساء قيم العدل، هذا التباين الجوهري بين حروب القبلية وحروب الرسالة يعكس تحولاً في العقلية العربية من التمركز حول الذات القبلية إلى الانصهار في (الأمة) والنظام القائم على المبادئ الإنسانية والدينية، " ويؤكد برهان الدين دلو هذه الدوافع حيث يذكر في كتابه جزيرة العرب قبل الإسلام انه من اهم البواعث التي أدت الى أيام الجاهلية هي تسابق القبائل على منابت الكلأ وموارد المياه، وأيضا وغزو القبائل لبعضها طمعا في استياق الابل والنظر الى الغزو كمورد اقتصادي، إضافة رغبة بعض القبائل في التحرر من الظلم وهيمنة القبائل الأقوى، إضافة الى أسباب الثأر وكذلك رغبة القبائل من التخلص من الهيمنة الأجنبية".[٢]

ومن الجدير بالذكر أن الحروب لم تكن في الجاهلية تمر دون تدوين، بل كان الشعر الجاهلي هو الديوان الذي سجل أدق تفاصيل هذه المعارك، فقد استخدمت القصائد والمقطوعات كوثائق تاريخية حية جسدت شجاعة المقاتلين، ووصفت فتك الأسلحة، وخلدت الأسباب والدوافع، مما جعل من الشعر المصدر الأول لدارسي تلك الحقبة في فهم بنية الصراع العربي القديم.

يمكن القول أخيرا إن الانتقال من حروب الأيام القائمة على العصبية إلى حروب "الرسالة" القائمة على المبادئ يمثل نقطة تحول مركزية في تاريخ المجتمع العربي، مما يفتح آفاقاً للبحث في كيفية إعادة صياغة الإسلام لمفهوم القوة وتوجيهها نحو بناء الدولة.

المطلب الأول: جذور النزاعات الجاهلية

دراسة في الدوافع والظروف الموضوعية

أ. **بنية الصراع الحربي في المجتمع الجاهلي.**

لم تكن الحرب في العصر الجاهلي مجرد خيار سياسي، بل كانت هاجساً وجودياً فرضته الطبيعة الصحراوية القاسية وشح الموارد الاقتصادية، حيث إن التزاحم على مساقط الغيث ومنابت الكلأ جعل من "الحذر الدائم استراتيجية بقاء للقبائل العربية، خوفاً من الإزاحة القسرية عن مواطنها.

أفرزت هذه الحالة من الاضطراب المستمر ما يُعرف في الذاكرة التاريخية بـ "أيام العرب"، وهي سلسلة من الوقائع والمنازعات التي لم تقتصر على الصدامات البينية بين القبائل (عدنانية وقحطانية، بل امتدت لتشمل صراعات مع القوى الإقليمية آنذاك كالفرس والروم، مما جعلها مرآة عاكسة للعلاقات الخارجية والداخلية للإنسان العربي، " وايام العرب تعكس في جملتها جوانب من العلاقات التي كانت قائمة بين القبائل العربية من جهة، وبين العرب والاعاجم كالفرس والروم من جهة أخرى،كما تعكس في الوقت نفسه جوانب من أحوال العرب وعاداتهم وأسلوب حياتهم ونظرتهم الى الحرب والسلم، وصبرهم في القتال وصمودهم وبسالتهم عند اللقاء، وتقاليدهم في معاملة الاسرى وفكاكهم، ودفع دية القتيل ومقدارها".[٣]

ب. **تصنيف الحروب من حيث الحدة والامتداد الزمني .**

تفاوتت الأيام والوقائع في طبيعتها ومداها، ويمكن تصنيفها وفقاً للمعايير التالية: المناوشات ((وتختلف أهمية هذه الأيام باختلاف حدتها وشمولها ومدتها . فقد يقتصر بعضها على مناوشات بسيطة يذهب ضحيتها بضعة أشخاص، وقد تحتدم احتداماً شديداً ، فيربو عدد ضحاياها على المئات))"[٤]"

تنتهي عادة بصلح سريع أو دفع الديات، والغزوات الخاطفة وهي النمط الغالب، حيث تقوم على عنصر المفاجأة ونهب الموارد ثم الانسحاب، وحروب الاستنزاف الطويلة وهي الصراعات الكبرى التي قد تمتد لعقود، مثل حرب البسوس وداحس والغبراء اللتين استمرتا " أربعين عاماً"[٥] عاما تميزت هذه الحروب بكونها وقائع متقطعة تفصل بينها سنوات من الهدوء الحذر، ثم تتجدد شرارتها لأسباب قد تبدو بسيطة لكنها تمس "الكرامة القبلية ،ومن الجدير بالذكر أن الفخر الأجوف عقب الانتصارات محركاً رئيساً لاستدامة الصراع إذ إن قصائد الفخر التي تنظمها القبيلة المنتصرة كانت تستنزف كرامة المغلوب، مما يدفع سفهاء القوم أو المتحمسين منهم إلى تفجير الصراع مجدداً طلباً لثار.

ج. القيمة التاريخية والأدبية لأيام العرب.

تعد الأيام مادة تاريخية وأدبية دسمة شكلت القسط الأكبر من مرويات الإخباريين والمؤرخين، وتتجلى أهميتها كونها المصدرية التاريخية حيث اعتمد عليها المؤرخون في رسم الخارطة السياسية والاجتماعية للجاهلية، وفهم جذور التحالفات والنزاعات التي استمرت آثارها حتى العصور الإسلامية.

وتعد أيضا الوعاء الأدبي للشعر والنثر فقد تخللت هذه الوقائع خطب بليغة وأشعار حماسية، حفظت تفاصيل المعارك وصانتها من النسيان قبل عصر التدوين، ومن أهميتها تعد إشكالية الموثوقية يرى المؤرخ الحديث أن هذه المادة رغم قيمتها لا تخلو من المبالغات الفنية، فالعاطفة القبلية والميل إلى تمجيد الذات وهجاء الخصم قد تدفع نحو تضخيم الأحداث، خاصة تلك المرويات التي دونت بعد قرنين من الهجرة استناداً إلى النقل الشفاهي.

د. محركات الصراع (نقاط الالتقاء)

رغم تعدد زوايا النظر التي اتخذها الباحثون في تحليل دوافع الحرب، إلا أن هناك تقاطعاً بنيوياً بين الدوافع المادية (الماء والمرعى) والدوافع المعنوية (الشرف والثأر)، وهو ما سنفصله في النقاط التالية:

الاقتصاد الجغرافي الجدلية الوجودية في الصحراء العربية

الثأر وأثره في رسم الخريطة السياسية والاجتماعية للعرب

البواعث الاجتماعية لملحمة الصحراء في الجاهلية

أولا : الاقتصاد الجغرافي الجدلية الوجودية في الصحراء العربية

لم تكن السياسة في جزيرة العرب قبل الإسلام مجرد تحالفات قبلية عابرة، بل كانت انعكاساً دقيقاً لـ "الضرورة الاقتصادية التي فرضتها طبيعة الأرض في تلك الفيافي القاحلة، لم يكن الاقتصاد نظريات تدرس، بل كان صراعاً يومياً ضد شظف العيش، حيث تحول الغزو من فعل عدائي إلى نمط إنتاج وضرورة وجودية أملتها ندرة الموارد فكانت جغرافية القلق وحدود الغموض حيث كان البدوي يرى في الأفق الواسع وطنه، لكنه وطن بلا خرائط مرسومة، كانت الحدود بين القبائل تعرف بظواهر طبيعية هشة تلة هنا أو واد هناك، مما جعل الحمى منطقة نزاع دائم، ورغم أن القبائل لم تكن تهيم على وجهها عبثا، بل كان لكل منها منازل" ومراعي موسمية، إلا أن شبح الجفاف كان كفيلاً بخلخلة هذا الاستقرار الهش، ففي سنوات القحط تسقط المواثيق وتتغلب القبائل الغنية (الأكثر قوة) على الفقيرة، ويصبح البحث عن الكلأ مبرراً كافياً لإشعال فتيل الحروب، " وهذا ما ذكره جواد علي في كتابه المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام حيث عزى أسباب الأيام والحروب التي جرت في تلك الحقبة اغلبها لتوسيع رقعة القبائل القوية على القبائل الضعيفة وإيجاد المرعى ولزيادة الموارد الاقتصادية والسيطرة على طرق التجارة".[٦]

فكان الماء عصب القوة ومحرك التاريخ، في تاريخ العرب، فلم يكن الماء مجرد وسيلة للري، بل كان محوراً سيادياً، فمن يملك "البئر" يملك القرار الاقتصادي والقدرة على إعالة عدد أكبر من الفرسان والماشية،

ففي حرب بكر وتميم كان الصراع اقتصاديا بامتياز، صراعاً على السيادة المائية" في صحراء لا ترحم الضعفاء، وفي حرب البسوس تجلى الاستبداد الاقتصادي في أوضح صوره، حين حمى كليب وائل الموارد ومنع غيره من الورود، مما جعل انفجار الحرب ضرورة لاسترداد "حقوق الرعي المسلوبة. " ويرى توفيق برو في كتابه تاريخ العرب القديم ان من بواعث واسباب ايام الجاهلية هو ما يكون منها تافه حسب رأيه بسبب سباق خيل او بسبب تحقير رجل او بسبب جهالة قول من رجل كما يشير ايضا ان بعض الايام والحروب ليست لاسباب تافهة ممكن لاسباب سياسية او اقتصادية او تعسف القبائل القوية في الحكم " "[٧]

فكانت تحالفات المصالح وقانون القوة، نشأت في هذا المجتمع تحالفات اقتصادية براغماتية، حيث تجتمع القبائل الانتزاع منبع ماء أو استرداده ولكنها كانت أخلافاً مؤقتة تنتهي بانتهاء المصلحة الاقتصادية.

ان الفوضى الاقتصادية القائمة على تنازع البقاء في بيئة فقيرة، بلغت ذروتها حتى جاء الإسلام ليضع حدا لهذا الصراع الوجودي، فكان التشريع النبوي حاسماً في تنظيم المعيشة الاقتصادية للموارد الأساسية بقوله : "الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار"[٨]، ليحول الموارد من بؤر للنزاع وسفك الدماء إلى حقوق مشتركة تضمن الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي، وتعد " الإغارة في سبيل الغنيمة ضرورة من ضرورات الحياة ألجأتهم إليها قلة الخيرات وقسوة طبيعتهم وأسباب الرزق في بيئتهم وهي صورة من صور تنازع البقاء في مجتمع فقير تتنافر وحداته ويسعى كل واحد منها لتحقيق منفعته الذاتية "[٩]

ثانيا : البواعث الاجتماعية الملحمة الصحراء في الجاهلية

أ_ الشرف والكرامة كمحرك للسيادة والاستقرار

في قلب النظام القبلي قبل الإسلام، لم يكن "الشرف" و "الكرامة" مجرد قيم أخلاقية مجردة، بل كانا بمثابة "العملة الصعبة والضمانة الوحيدة للبقاء في بيئة لا تعترف إلا بالقوي، فإذا كان الماء والكلأ يمثلان الجسد المادي للاقتصاد البدوي، فإن الشرف كان يمثل نظام الردع الذي يحمي هذه الموارد.. فالشرف كدرع سيادي وراس مال رمزي فعلى مر التاريخ ، كانت القبيلة هي الوحدة السياسية والاقتصادية الكبرى، وكان "شرفها هو سمعتها التي تسبقها في الفيافي، ومن منظور اقتصادي –اجتماعي، يعد الشرف رأس مال رمزي، فالقبيلة التي تتمتع بشرف عال تهابها القبائل الأخرى، مما يقلل من احتمالية التعدي على مراعيها أو آبارها.

فاثبت التاريخ إن أي اعتداء على شرف القبيلة كان يعامل كإفلاس سياسي" يجب تصحيحه فوراً، فالسكوت عن الإهانة لم يكن ضعفاً أخلاقياً فحسب، بل كان إشارة خضراء للآخرين لاستباحة حمى القبيلة ونهب أنعامها،" وهذا ما أشار اليه ابن الاثير يقصد فيه سبب قيام الحرب بين بني بغيض وبين صداء وهي قبيلة من مذحج حيث دافع بني بغيض عن حريمهم واموالهم والدفاع عن شرف القبيلة" [١٠]لذا كانت الحروب تنشب لاستعادة هذا التوازن السيادي الذي فقد بالاعتداء.

فكانت الكرامة وقود الفرد في ماكينة القبيلة بينما كان الشرف قيمة جماعية، كانت هي المحرك الفردي الذي يضمن صلابة الترس القبلي، كانت الكرامة تعبيراً عن القوة الشخصية والجاهزية القتالية، فالبدوي الذي يعتز بكرامته هو بالضرورة مقاتل شرس يدافع عن مصالح قبيلته.

أما الربط التاريخي ففي مجتمع يعتمد على اقتصاد الغزو والدفاع، كانت الكرامة الشخصية هي الضمانة لجودة المنتج العسكري للقبيلة، فالفرد الذي لا يثار لكرامته يمثل ثغرة في جدار الحماية القبلي، مما يؤدي تاريخياً إلى اضمحلال نفوذ القبيلة وتفكك وحدتها أمام المنافسين، فكانت الوحدة الاجتماعية كضرورة اقتصادية حيث كانت قيم الشرف والكرامة تعمل كـ اغراء اجتماعي" يوحد أفراد القبيلة في مواجهة التهديدات الخارجية في بيئة تفتقر إلى المؤسسات المركزية، كان الشعور المشترك بالكرامة الجريحة كافياً لحشد مئات الفرسان في لحظات، دون الحاجة لجيوش نظامية أو رواتب، فجاءت الحرب كجزء من دورة الحياة اليومية نتيجة لهذا التداخل و أصبحت وسيلة التصحيح المسار الاجتماعي، فلم تكن النزاعات المسلحة خروجا عن المألوف، بل كانت أداة لترسيخ التراتبية بين القبائل القبيلة التي تخرج منتصرة من حرب دافعها الشرف، تزداد قيمتها في سوق التحالفات، وتصبح مقصداً للقبائل الأضعف التي تطلب "الجوار" مقابل الولاء أو المصلحة، مما يعزز نفوذها الاقتصادي والسياسي.

وأخيرا كان الشرف في الجاهلية هو صمام الأمان للهوية القبلية، فالحروب التي اندلعت بواعثها اجتماعية كانت في جوهرها تهدف إلى حماية الوجود التاريخي والمادي للقبيلة، لضمان الا تتحول إلى فريسة سهلة في غابة الصحراء.

ب الثأر وأثره في رسم الخريطة السياسية والاجتماعية للعرب:

إذا كان الماء والكلأ يمثلان المحرك المادي للحروب في الجاهلية، فإن "الثأر" كان يمثل المحرك الحقوقي والسياسي الذي يضمن استدامة الصراع أو وقفه، ولم يكن الثأر مجرد رغبة عمياء في الانتقام، بل كان نظاماً قضائيا بدائياً" في بيئة تفتقر إلى السلطة المركزية والقانون الجنائي الموحد " فالبدوي ملزم بأن ينصر أخاه في الملمات ، وليس له أن يتساءل أهو ظالم أم مظلوم . وليس من شك في ان هذا الواجب يقع ، باديء الأمر ، على عاتق العشيرة التي يعنيها الأمر ، فلا تنبري القبيلة كلها لمناصرتها إلا اذا كانت العشيرة ضعيفة قليلة الحول. ولكن هذا المجتمع القائم على أساس المساواة والحرية العامة يتكشف ، مع ذلك ، عن نزعات متعددة نحو تركز السلطة" [١١] حيث تلاحظ تاريخياً ان الثأر لم ينفصل عن الدافع الاقتصادي فالمنافسة الشرسة على منابع المياه والمراعي كانت تنتهي حتماً بسقوط قتلى هنا، يتحول القتيل من خسارة بشرية إلى دين معلق في عنق القبيلة، فتضخم الصراع يؤدي إلى التقاتل على الغنيمة وتوتر العلاقات، ومع سقوط الدماء، يغلو الطرفان في القتل، فتتحول الحرب من صراع على "مورد مادي" إلى حرب وجودية" تستنزف الموارد البشرية والاقتصادية للطرفين لسنوات طويلة" (كانت

المياه ضرورية و السيطرة على مصدر مائي تعني التفوق الاقتصادي والقدرة على دعم عدد أكبر من الأفراد والماشية، مما يعزز من قوة القبيلة ونفوذها كما كانت الأراضي الخصبة والمراعي من الموارد الأخرى التي أثارت النزاعات بين القبائل والقبائل تعتمد على الرعي كوسيلة رئيسة للعيش، وهي بحاجة إلى مساحات واسعة من الأراضي لرعي مواشيها في ظل ندرة الأراضي الخصبة، وقد كانت القبائل تتنافس للسيطرة على هذه المناطق مما أدى إلى نشوب صراعات وحروب"[١٢] ، وفي ميزان القوى دم السيد لا يكافئه إلا سيد" فلم يكن الثأر عشوائياً، بل خضع لمنطق الطبقية السياسية، ولكي يكون الثأر رادعاً حرصت القبائل على مبدأ المكافأة في المنزلة فدم السيد لا يغسل إلا بدم سيد يساويه في الدرجة " ويطلبون العرب الثأر ويختارون أن يتم مكافئة دم المقتول بدم من قتله في المنزلة، والمكانة، والدرجة ، فدم السيد لا يكافئ الا دم سيد مثله، والمقصد من ذلك رد سادات القبائل عن تحريض العبيد أو غيرهم على قتل خصومهم و أعدائهم وبذلك فهو عنصر ردع للحد من غلواء البعض وتقييد لنزعاتهم واندفاعاتهم العدوانية"[١٣]

فالهدف الردعي كان هو العرف الهادف إلى منع سادات القبائل من تحريض التابعين أو العبيد على القتل، فالمحرض يعلم أن عنقه هي الثمن، مما خلق نوعاً من توازن الرعب الذي حد من الاندفاعات العدوانية غير المحسوبة.

فبلغت سلطة الثأر في الوجدان الجاهلي حداً جعلها تتجاوز الخطوط الحمراء للدين والأعراف المقدسة، والشاهد التاريخي الأكبر هو "حروب الفجار"، التي سميت بهذا الاسم لأن العرب فجروا فيها وانتهكوا حرمة الأشهر الحرم وعرج اليعقوبي في كتابه على " ذكر سبب حرب الفجار التي كانت بين كنانة وقيس ان سببها هو الثأر والطمع بالمغانم"[١٤] فقد كان صوت الثأر يعلو فوق صوت القداسة، مما يثبت أن الحفاظ على الكيان القبلي كان هو الدين الحقيقي للصحراء.

ومن طقوسهم أن الموتور: يتوقف عنده الاقتصاد الشخصي فالثأر يفرض حالة من التقشف والحداد القتالي" على أولياء الدم، " فالمهلهل في حرب البسوس بمقتل كليب، أعلن شقيقه حالة طوارئ اجتماعية، فجز شعره وهجر النساء والخمر، محولاً حياته إلى مشروع عسكري صرف"[١٥]، اما أمرؤ القيس عندما قتل والده ملك كندة، لخص الموقف بصرخته الشهيرة: ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً.. اليوم خمر وغداً أمر، لقد أقسم على حرمان نفسه من ملذات العيش اللحم، الخمر، الطيب حتى يسترد دين الدم من بني أسد، مما يوضح كيف كان الثأر يعطل مسار الحياة الطبيعية للفرد والجماعة " ويصف ابن خلدون بأن الحروب لتي تقوم على الثأر كما يصفها ابن خلدون ويسوغها وهذا يجري بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظر "[١٦]

اما مع الإسلام كسرت حلقة الدين الدموي فمع بزوغ فجر الإسلام، أدرك النبي الله أن بقاء ثارات الجاهلية يعني بقاء الفوضى الاقتصادية والاجتماعية التي تهدد بناء الدولة الجديدة، وفي لحظة تاريخية فارقة (حجة الوداع)[١٧]، أعلن الرسول إسقاط كافة الدماء والثارات الجاهلية، واضعاً إياها تحت قدميه لينهي بذلك قانون الغابة ويستبدله بقانون الدولة والقصاص العادل، مما سمح للطاقة العربية بالتحول من التناحر الداخلي إلى البناء الحضاري.

ج دبلوماسية البقاء : التحالفات القبلية كدرع سيادي.

في عالم تحكمه ندرة الموارد والقسوة الجغرافية، لم تكن التحالفات القبلية مجرد بروتوكولات صورية، بل كانت عقود تأمين استراتيجية تهدف إلى حماية الوجود المادي والمعنوي للقبيلة، ولقد مثلت هذه الأحلاف رصيد للقوة تلجأ إليها القبائل لتعزيز مكانتها في سوق النفوذ الجاهلي، فجاءت بيولوجيا تحالف القرابة كبنية تحتية للأمن تاريخيا، بدأت الأحلاف من نقطة الرحم والنسب، حيث كانت القرابة تمثل أولى طبقات الحماية الاقتصادية والسياسية، فالمنطق الاستراتيجي يحتم الانضمام إلى أبناء العمومة فلم يكن الأمر عاطفيا فحسب، بل كان وسيلة لترسيخ كتلة بشرية قادرة على حماية الحمى، فالهزيمة في الوعي الجاهلي تعني إفلاساً اجتماعيا وضياعاً للشرف، لذا كانت التحالفات القائمة على النسب تستخدم كأداة لضمان التفوق العسكري ومنع تأكل رأس المال المعنوي للقبيلة، "لقد كانت كل قبيلة تدافع عن ارضها ومنابع مياهها وهي مستعدة لسفك دم كل من يتعرض لها" [١٨]، ويمكن القول أن التحالف جاء كحل اقتصادي للنزاع ففي البيئة الصحراوية، حيث يعد الماء والكلأ سلعاً سيادية، برزت التحالفات كآلية لتقاسم المنافع بدلاً من الاقتتال عليها، وجاءت إدارة الندرة من خلال الأحلاف، فاستطاعت القبائل تأمين وصولها المشترك إلى الموارد المائية والمراعي، مما قلل من تكلفة الحرب الباهظة، وتعد إعادة للتوزيع القسري فعندما كانت هذه الأحلاف تفشل في تحقيق التوازن، كانت الحرب تندلع كأداة اقتصادية لإعادة توزيع الموارد بالقوة، أو للسيطرة على مناطق جغرافية جديدة تضمن استمرار النشاط الرعوي والتجاري، فلم تكن التحالفات الجاهلية عقوداً أبدية، بل كانت تتسم بالبراغماتية العالية حيث كانت القبائل تتحرك وفق موازين القوى المتغيرة فالحليف اليوم قد يصبح خصماً غداً إذا تغيرت خارطة المصالح،

فسياسة التكيف قائمة على التغير المستمر في الولاءات من خلال خلق حالة من الديناميكية السياسية، حيث كانت القبائل الصغيرة تسعى للانضواء تحت مظلة القبائل الكبرى كحماية استثمارية لتجنب الابتلاع من قبل الخصوم، ونتيجة لذلك، كان انهيار حلف قديم أو ولادة حلف جديد كفيلاً بإعادة رسم الخارطة الجيوسياسية للصحراء وإشعال حروب تهدف لتصحيح موازين القوى،فالتحليل العميق، كانت التحالفات وسيلة لتحقيق التوازن بين القوى المتنافسة القبيلة القوية التي تملك شبكة أحلاف واسعة كانت تمارس نوعاً من الردع الاقتصادي، حيث يخشى الخصوم مهاجمتها خوفاً من استنفار جبهة عريضة من الحلفاء، وبذلك، كانت الأحلاف تمثل صمام أمان يمنع الانزلاق الدائم نحو الحروب الشاملة، مع بقائها مصدراً كامنا للنزاع إذا ما تعارضت الطموحات الفردية للقبائل المتحالفة لذلك يمكن القول "ان الحلف بين القبائل يبين ان الدافع هو اقتصادي من اجل الحصول على الغنائم"[١٩]

ثالثا : جغرافية الحدود محور للصراع الوجودي

في الجزيرة العربية، لم تكن الحدود مجرد خطوط وهمية على الرمال، بل كانت تمثل المجال الحيوي" الذي تتحدد فيه فرص القبيلة في الحياة أو الفناء، إن فهم النزاعات الحدودية في العصر الجاهلي يتطلب تجاوز النظرة الجغرافية الضيقة للوصول إلى عمق المعادلة الاقتصادية والسياسية التي حكمت المجتمع البدوي، حيث " عدم وجود حدود جغرافية بارزة تفصل بين مواطن القبائل كانت الحدود سبباً من أسباب النزاع المستمر والقتال بين القبائل"[٢٠] فمن المنظور الاقتصادي، كانت الأرض في الصحراء القاسية هي المصنع الوحيد للثروة، حيث توفر الماء والمرعى، فلم تكن المنازعة على الحدود ترفاً، بل كانت صراعاً على موارد سيادية، فخسارة قبيلة لمراعيها التقليدية أو آبارها نتيجة زحف حدود قبيلة أخرى كانت تعني بالضرورة هلاك الماشية وتشتت الأفراد، لذا تحولت مناطق التماس بين القبائل إلى مناطق قلق دائم، حيث يقاس رسم الحدود بمدى قدرة رماح القبيلة على حماية حماها، فكان التوسع كاستراتيجية لتراكم النفوذ فلم تقتصر النزاعات الحدودية على تأمين الاحتياجات الأساسية، بل كانت أداه للتوسع الاستراتيجي، وتعد رأس المال السياسي حيث كانت السيطرة على مساحات أوسع تعني زيادة في الثروة الحيوانية والقدرة على استيعاب احلاف جدد، مما يرفع من الهيبة السياسية للقبيلة، ففي الوعي الجاهلي، كانت عظمة القبيلة ترتبط طردياً بمدى اتساع حماها، إذ إن القدرة على التأثير في الشؤون الإقليمية والجناية من القوافل المارة كانت تتطلب سيادة جغرافية مطلقة، مما شجع القبائل على الدفع بحدودها نحو مناطق جيرانها باستمرار، ومن الطبيعي أن تقاطع الدماء والولاءات فالحدود كساحة التصفية الحسابات تاريخيا، تأثرت استقرارها بالحدود وديناميكية التحالفات المتغيرة، وكانت الحدود مناطق التماس متفجرة فمع كل تغير في خارطة الأحلاف، كانت الحدود تشتعل من جديد، أحياناً، فلم يكن النزاع الحدودي يهدف للأرض بذاتها، بل كان يتخذ كذريعة قانونية و تصفية حسابات قديمة أو ممارسة الثأر، هذا التداخل بين المصلحة الاقتصادية والعاطفة القبلية جعل من قضايا الحدود ملفات شائكة تتوارثها الأجيال، وتتحول من خلاف على مرعى إلى ملحمة كبرى تسيل فيها الدماء، وعلى الرغم من خشونة المجتمع الجاهلي، إلا أن الحرب لم تكن دائماً الخيار الأول، فكانت الوساطة والتحكيم من الأمور التي سعت القبائل في كثير من الأحيان إلى التفاوض واللجوء إلى الحكماء والوسطاء لترسيم الحدود أو فض النزاعات حول الموارد، سعياً لتجنب الكلفة الاقتصادية الباهظة للحرب، فالحروب كان الخيار الشرعي عندما تفشل جهود الدبلوماسية وتصطدم بجدار التعنت أو الرغبة في الاستئثار ، كانت الحرب تبرز كخيار عسكري مشروع، في تلك اللحظة، لم تكن الحرب مجرد عنف، بل كانت وسيلة لإعادة رسم الخارطة الاقتصادية والاجتماعية، وتأكيد السيادة على الأرض التي تضمن استمرار النسل والمال.

ويمكن القول أخيرا إن النزاعات الحدودية في الجاهلية كانت المرأة التي عكست التحديات الوجودية لمجتمع يعيش في بيئة لا ترحم، ومن خلال تحليل هذه الدوافع، تدرك أن أيام العرب لم تكن عبثاً، بل كانت مخاضاً اجتماعياً وسياسياً ساهم في تشكيل الشخصية العربية وهويتها القتالية والتنظيمية قبل بزوغ فجر الإسلام...

المطلب الثاني : الحروب في عصر الرسالة المحمدية ودوافعها

في غياهب الجاهلية، حيث كانت جزيرة العرب مسرحاً لصراعات قبلية لا تنتهي، وموطناً لطبائع قست حتى استباحت الدماء لأتفه الأسباب، بزغت شمس الإسلام، لم تكن دعوة النبي محمد (ص) مجرد نداء ديني، بل كانت ثورة أخلاقية نادت بالرحمة والعفو، والتألف في عالم لم يعرف سوى لغة القوة والبطش، فكان عالم يغلي بالوحشية قبل أن يؤذن للمسلمين بالدفاع عن انفسهم، فقد كانت بلاد العرب تعاني تحت وطأه الوثنية ، فكل قبيلة تعتز بجبروتها وتتخذ لنفسها صنما يكرس انغلاقها وعصبيتها، مما جعل الحروب والغارات إدماناً يومياً يمزق نسيج المجتمع، وفي هذا الجو المشحون بالظلم، جاء النداء المحمدي ليرفض الأوثان ويأمر بالعدل المدني والتجمل بمكارم الأخلاق، فكان هذا التغيير على أهل الجاهلية اثقل من الجبال فبدأت مرحلة الكف والصفح لأكثر من عقد من الزمان في مكة، فكان التوجيه الإلهي للنبي الله هو الصبر

والصفح رغم ما لاقاه المسلمون من اضطهاد وتقتين ، ورغم نفي المهاجرين وتعذيب المستضعفين، لم تكن هناك يد تمتد بسلاح، كان الإسلام في بدايته يبني الإنسان قبل أن يبني الدولة، متجنبا الصدام المسلح، وسالكاً سبيل الموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، مصداقاً لقوله تعالى: (قد مكر الذين من قبلهم فَأَتَى اللَّهُ بُنيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ)[٢١]

فحين أصبح القتال ضرورة لم تكن الحروب في عهد النبوة رغبة في التوسع أو طلباً للغنائم، بل كانت استجابة اضطرارية لواقع الئيم، فعندما عتت قريش وتجاوزت كل الحدود في نفي المؤمنين واضطهادهم، نزل الإذن الإلهي الذي غير مجرى التاريخ (أذن لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)[22].

هناء تحول المسلم من صابر مغلوب إلى مدافع صاحب حق، فلم تكن المعارك كبدر و أحد إلا ردعاً لعدوان واقع، أو إحباطاً لمؤامرة غدر، وتثبيتاً لنظام عدل يحمي الضعيف من الطبائع الوحشية الجائرة " الاسلام مثله مثل جميع الرسالات , دين سلام وليس دين عنف "[٢٣]

فكان ميثاق الحرب يرفع مبدأ (أخلاق فوق السيف) فقد تميزت حروب النبوة عن سائر حروب التاريخ (كالصليبية أو التوسعية) بكونها حرباً لبناء القيم لا لهدم المدن، لقد رسخ الإسلام قواعد لم يعرفها العالم من قبل الدفاع لا الاعتداء، فالسيف لا يرفع إلا في وجه من رفع السيف، (وقاتلوا في سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا) [٢٤].

فشدد الإسلام على حرمة المدنيين فكان الإسلام الأسبق عالمياً في حظر استهداف الشيوخ، والنساء، والأطفال، والعزل ، فكان السلام هو الغاية بمجرد أن يجنح العدو للسلم أو يلقي السلاح، يتوقف القتال فورا، فالحرب ليست غاية في حد ذاتها بل هي وسيلة لكسر شوكة البغي فهدفه الأول والأخير هو " القتال محاولة الرجل قتل من يحاول قتله ، وكونه في سبيل الله إنما هو لكون الغرض منه اقامة الدين واعلاء كلمة التوحيد ، فهو عبادة يقصد بها وجه الله تعالى دون الاستيلاء على أموال الناس وأعراضهم ، فإنما هو في الإسلام دفاع يحفظ به حق الانسانية المشروعة عند الفطرة السليمة ، فان الدفاع محدود بالذات ، والتعدي خروج عن الحد ... والنهي عن الاعتداء مطلق ، يراد به كل ما يصدق عليه أنه اعتداء ، كالقتال قبل أن يدعى إلى الحق ، والابتداء بالقتال ، وقتل النساء والصبيان ، وعدم الانتهاء إلى العدو "[٢٥]، وشدد الاسلام على " سلامة الغاية وسمو الهدف في الحرب الإسلامية نرى أن مسيرة الحرب ذات سلوك متميز وتحيط بها أخلاقيات عالية فالإسلام أول من رفض ضرب الأهداف المدنية والتعرض لغير المقاتلين من الشيوخ والنساء والأطفال "[٢٦]

وأخيرا لقد أعاد الإسلام صياغة مفهوم القتال عند العرب فنزع عنه شوائب الفخر الشخصي، والتعصب القبلي، وطلب الغنيمة ليجعله فرضاً يحمي الأمة الناشئة التي تساوى فيها العربي والأعجمي تحت لواء التقوى، ولم تكن سيوف المسلمين تطلب الإكراه في الدين، بل كانت تطلب الحرية للدعوة و العدالة للإنسان، لتظل سيرة النبي(ص) شاهداً على أن الأصل في الإسلام هو السلام، وأن الحرب استثناء أملته ضرورة دفع الظلم ويمكن القول " أن القتال شرع لدفع الاعتداء، لم يأمر القرآن بالحرب عند أول بادرة من الاعتداء أو عند الاعتداء بالفعل، إذا أمكن دفع الاعتداء بغير القتال "[٢٧]

ولفهم مسببات هذا التحول التاريخي من الصبر إلى المواجهة، يتعين علينا استقصاء الدوافع التي أملت على المجتمع المسلم الأول خوض تلك المعارك، وهي تتلخص فيما يلي:

أولاً: حماية العقيدة ورد العدوان.. السيادة للمبدأ لا للمغنم

في قلب التجربة النبوية، لم تكن السيوف تستل طلباً لسلطان زائل أو توسعاً جغرافيا مجرداً، بل كانت الكلمة هي المحرك والغاية فلقد جاء الإسلام ليحرر الإنسان من أغلال العبودية للبشر وللهوى، معلنا أن السيادة المطلقة في الله وحده، فبدأت معركة التحرر من الفتنة حين نقرأ في سجلات السيرة، نجد أن القتال شرع في المقام الأول لإعلاء كلمة الله تلك الغاية التي لخصها القرآن الكريم في قوله تعالى: ((وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ))[٢٨]، والفتنة هنا لم تكن مجرد خلاف عابر، بل كانت تجسيداً للقمع الذي مارسه المشركون لمنع الناس من التوحيد وإجبارهم على عبادة الأصنام، فكان الجهاد هو الأداة التاريخية لكسر طوق الإكراه، وضمان أن يكون الإقرار بالوحدانية حقاً مصوراً لكل إنسان، وانطلق الإسلام من فكرة تصحيح النوايا (لا فخر ولا مغنم) يروي التاريخ لنا موقفاً جلياً يحدد هوية المقاتل في الإسلام فحين سئل النبي(ص) عن الرجل يقاتل للمغنم أو للذكر (الشهرة) أو ليرى مكانه، كان رده حاسماً وواضحاً كالشمس "من قاتل لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله"[٢٩]، بهذا المبدأ، نزعت من القتال دوافع الجاهلية القائمة على الفخر الطبقي أو القومي، والبست ثوبا أخلاقيا يبتغي وجه الخالق وحماية الحقوق، فكان الدفاع عن حرية الضمير من القيم الحربية العليا فلنقد واجه الرعيل الأول من المسلمين في مكة صنوفاً من العذاب لا تطيقها الجبال، حيث أذاهم المشركون وفتنوهم عن دينهم في محاولة بائسة لردهم إلى الشرك من هنا، انبثق دافع تاريخي ملح وهو تأمين حرية

الاعتقاد، اذ لم يكن التحرك العسكري يهدف للقضاء على الآخر، بل كان يهدف لرفع الوصاية عن العقول فقد " دافع الاسلام من اجل تأمين حرّيّة الاعتقاد وتأمين نشر دعوة الإسلام بردع من يقف في سبيلها، ويصدّ من يريد اعتناقها، وفي هذا ضمان لحرية الاعتقاد للأفراد، فلقد حاولت قريش إعادة المسلمين الذين اتبعوا محمد صلى الله عليه واله وسلّم إلى الشرك مرّة أخرى، فآذوهم وعذبوهم عذابا لا يطيقه بشر، حتى يفتنوهم عن دينهم، فكان من المحتم على المسلمين أن يتحركوا لكي يوقفوا هذا الإيذاء والتعذيب للمسلمين"[٣٠] ، لذلك لم يبدأ القادة المسلمون قتالاً قط إلا بعد بينات ومفاوضات لكان العدو يدعى للإسلام أولاً، فإن رغب عن ذلك ورضي بالعيش في كنف الدولة الجديدة بعهد ومواثيق كالجزية لأهل الكتاب، حرم قتاله وعقدت معه هدنة صلح تنظم العيش المشترك، فكان السلم هو الأصل " الاسلام على المستوى التطبيقي بدأ بالسلام لينتهي بالحرب التي تؤدي الى اقرار السلام "[٣١] ، وفي نهاية المطاف يظل القتال في عهد النبوة موقفاً استثنائياً فرض لحماية الوجود والفكرة، أما القاعدة الذهبية التي سار عليها المصطفى (ص) فهي التعامل بالبر والقسط مع كل من لم يرفع سلاحاً في وجه المسلمين، كما أرشد الوحي الإلهي(أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)[٣٢]. فإذا ما أثر العدو الاعتزال وألقى السلم، انغمد السيف فوراً؛ فلا سبيل على من اختار الموادعة، لتظل الحرب في الإسلام "حرباً دفاعية في جوهرها، تطلب السلام لا الانتقام" إن الرسول لم يشن حربا هجومية وانما كانت حروبه كلها دفاعية"[٣٣]

ثانيا: ميثاق الدفاع ودفع المظلمة : لم يكن الإذن بالقتال في العهد النبوي مجرد قرار عسكري، بل كان انعطافه ابدية في تاريخ الرسالة، فبعد سنوات طوال من كتف الأيدي والترفع عن الرد بمكة، نزلت آيات الحق لترسم ملامح الدفاع الشرعي الذي لا يبغي علوا في الأرض ولا فساداً.

أ. الإذن الإلهي الانتصار للمظلوم: في لحظة تاريخية فارقة، وبعد أن بلغت ممارسات المشركين ذروتها من ترويع وإخراج للمؤمنين من ديارهم بغير حق سوى نطقهم بكلمة التوحيد، جاء البيان الإلهي حاسماً في قوله تعالى (الَّذِينَ اخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَيَّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ)[٣٤] هذا النص التاريخي لم يشرع الحرب للهجوم، بل جعل الظلم وسلب الديار هما المحرك الأساسي للتحرك، ليكون القتال هنا وسيلة لاستعادة الحق المسلوب وكسر قيد الاضطهاد.

ب فلسفة في سبيل الله وميزان العدالة

تجلت عظمة التشريع النبوي في تعريف القتال يوسفه عبادة لا مقدماً، "وكما يشير العلامة الطباطبائي في رؤيته التحليلية، فإن القتال في الإسلام ليس سعياً وراء أمراض الدنيا أو استيلاء على المقدرات، بل هو محاولة دفاعية لحفظ حقوق الإنسانية المشروعة"[٣٥]

إن مصطلح في سبيل الله كان السياج الذي يحمي السيف من الانزلاق نحو الأهواء الشخصية أو القبلية، فالهدف هو إقامة الدين وإعلاء كلمة التوحيد، وهو ما يجعل الحرب في عهد النبوة دفاعاً محدوداً بالذات، حيث يمثل أي تجاوز لهذه الحدود تعدياً يمقته الخالق.

ج دستور المواجهة.. الحرب بلا اعتداء : وضع القرآن الكريم ميزاناً دقيقاً للمواجهة، ليرسم أخلاقيات لم تعرفها الحروب الجاهلية في قوله عز وجل (انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) [٣٦]

لقد حدد هذا الميثاق بوضوح أن القتال يوجه فقط لمن يمارسه بالفعل، وحرم الاعتداء بكل صورة، وعلى سبيل المثال كالابتداء بالقتال دون مبرر أو الغدر ونكث العهود أو قتل النساء، والأطفال، والشيوخ، ومن لم يشارك في المعركة.

د . السمو الأخلاقي

رغم مشروعية الرد بالمثل، إلا أن التاريخ النبوي سجل أرقى درجات ضبط النفس، فلم يستعجل المسلمون الصدام عند أول بادرة اعتداء، بل ظل خيار دفع السوء بالتي هي أحسن قائماً ما دام ممكناً. وقد نزل التوجيه الإلهي ليرشد المؤمنين إلى أن الصبر هو الذروة الأخلاقية: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ)[٣٧]

كانت الحروب في عهد الرسالة المحمدية مسيرة منضبطة، توازن بين عزة المقاتل الذي يأبى الظلم، وبين رحمة النبي الذي يفتح باب الصفح حتى في أحلك لحظات المواجهة.

ثالثا : صرخة المستضعفين حين يكون السيف طوق نجاة

لم تكن الحروب في العهد النبوي مجرد مواجهات عسكرية لحماية حدود أو كسب نفوذ، بل كانت في جوهرها استجابة لنداءات إنسانية مخنوقة وواجب أخلاقي تقره الفطرة وتدعو إليه الأديان كافة في كل زمان ومكان، فبينما كان المجتمع المسلم يرسخ أركانه في المدينة، ظلت قلوب في مكة ترتجف تحت وطأة السلاسل وسياط الجور وأنين وراء الأسوار في بطحاء مكة، ترك النبي خلفه فئة غلبتها القيد وحالت بينها وبين الهجرة ظروف القهر رجالاً كبلهم الضعف، ونساء لا حول لهن، وولدانا لا حيلة لهم، هؤلاء المستضعفون لم يملكون سلاحاً سوى التضرع، ولم تكن صلواتهم مجرد طقوس، بل كانت رجاء حاراً للخلاص من أرض الشرك التي ضاقت بكلمة التوحيد، وتطلعاً فطرياً للهجرة إلى رحاب العدل والحرية لم يكن النداء الإلهي الذي زلزل وجدان المؤمنين مجرد إذن بالقتال، بل جاء في صيغة استنكار نبيل يربط بين القتال في سبيل الله وبين إنقاذ الإنسان، فكيف يهنا حر بعيشه وهناك مستضعفون يستغيثون؟ لقد خلد القرآن الكريم هذا المشهد في أية هزت المشاعر قبل السواعد ((وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً))[٣٨]، وهكذا تحول الجهاد من مفهوم الدفاع عن العقيدة إلى أداة للإصلاح المدني والتحرير الإنساني، فصار السيف الذي يحمله المسلم هو السبيل الوحيد لكسر الأغلال وفتح الطريق أمام المستضعفين ليلحقوا بركب التوحيد ،كانت المعارك بهذا المعنى حروب إنقاذ، لم تستهدف الأراضي بقدر ما استهدفت كسر شوكة الظالمين" الذين استباحوا كرامة الإنسان المجرد قوله: ربي الله. فكانت " بواعث الجهاد في الإسلام ينبغي تلمسها في طبيعة الإسلام ذاته، ودوره في هذه الأرض، وأهدافها التي قررها الله، وذكر الله أنه أرسل من أجلها هذا الرسول بهذه الرسالة، وجعله خاتم النبيين وجعلها خاتمة الرسالات.. إن هذا الدين إعلان عام لتحرير الإنسان في الأرض من العبودية للعباد– ومن العبودية لهواه أيضا وهي من العبودية للعباد – وذلك بإعلان ألوهية الله وحده –سبحانه– وربوبيته للعالمين"[٣٩]

مواثيق المدينة ونكت العهود: لم تكن المدينة المنورة عند وصول النبي إليها مجرد بقعة جغرافية، بل كانت مشروعاً لدولة التعايش ومن هنا، كان أول ما خطه القلم النبوي هو " وثيقة المدينة"[٤٠] ، تلك المعاهدات التي عقدها مع طوائف شتى، وعلى رأسهم قبائل اليهود بني النضير، وبني قينقاع، وبني قريظة. كانت القاعدة واضحة الجوار بالمعروف، والوفاء بالعهود، والدفاع المشترك عن المدينة، لكن هدوء المواثيق لم يدم طويلاً أمام العواصف السياسية والضغائن المكتومة فسرعان ما بدأت فصول النكث تتوالى فبنو قينقاع كانوا أول من حرك مياه الفتنة الراكدة، فلم يكتفوا بإثارة القلاقل وتفتيت وحدة الصف، بل تحولوا إلى ظهير للمنافقين وسند للمشركين، ضاربين بعرض الحائط بنود السلم ، أما بنو النضير تجاوزت مؤامرتهم حدود التحريض إلى محاولة الاغتيال المباشرة، فبينما كان النبي آمنا في ديارهم، تأمروا على قتله، فكان هذا النكث إعلاناً صريحاً بانتهاء عهد الأمان، وسار على خطاهم بنو قريظة حيث جاء نكثهم في أصعب اللحظات التاريخية حين كانت المدينة محاصرة في غزوة الأحزاب، ففي الوقت الذي كان المسلمون يواجهون جيوش المشركين من الخارج، اختار بنو قريظة طعن الأمة من الداخل والتحالف مع العدو، مما هدد كيان الدولة بالفناء التام، أمام هذا الواقع لم يكن القرآن الكريم ليدع المجتمع المسلم فريسة للغدر المباغت، فنزلت الآيات لتضع حداً فاصلاً بين الصبر والاستسلام"، جاء قوله تعالى : {وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ}[٤١] ، ليوضح أن القتال هنا هو عقوبة لنقض العهد وطعن الأمان، وليس اعتداء ابتدائياً.

ومن أسمى تجليات الأخلاق الحربية في الإسلام، أن النبي (ص) لم يكن ليباغت قوماً بينه وبينهم عهد حتى لو خشي غدرهم إلا بعد إعلان رسمي فجاء التوجيه الإلهي (وَإِمَّا تَخَافُنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبذ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ)[٤٢]

كان هذا المبدأ يرسخ قاعدة ذهبية لا يجوز القتال قبل الإبلاغ ، فإذا استشعر المسلمون بوادر خيانة مؤكدة، وجب عليهم إخطار الطرف الآخر بإلغاء المعاهدة علانية (النبذ على سواء)، ليكون الطرفان على علم بانقطاع العهد، أما إذا لم تظهر بوادر خيانة واضحة، فإن الوفاء بالعهد يظل ديناً يطوق أعناق المسلمين، فالإسلام لا يقابل الخيانة بمثلها، بل يقابلها بالوضوح والحزم.

خامسا : حالة الدفاع.. حين يكون السيف درعاً للقيم

في تاريخ الأمم، غالباً ما كانت الحروب تشنّ طلباً للتوسع أو استعباد الشعوب، أما في السيرة النبوية، فقد كان الدفاع هو المحور الذي دارت حوله رحى المعارك، لم يكن القتال خياراً أولياً، بل كان استجابة ضرورية لنداء الحق والعدل حين سدت أبواب السلم لسنوات طويلة تحمل المسلمون الأذى والتهجير في مكة دون رد، حتى جاءت اللحظة المفصلية التي نزل فيها قوله تعالى:(أذن لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ الله على نصرهم لقدير)[٤٣]. لم يكن هذا الإذن مجرد تشريع للقتال، بل كان إعلاناً تاريخياً بانتهاء زمن الاستضعاف وبداية زمن حماية الأرض والدين والنفس. فالعلة هنا واضحة الظلم هو الذي أخرج السيوف من أغمادها، وليس الرغبة في سفك الدماء ، كما انفرد التاريخ الإسلامي بوضع خطوط حمراء للمقاتل حتى في أوج الصدام، فالتوجيه الإلهي في قوله : وقاتلوا في سبيل الله الذينَ يُقاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا رسم خارطة

طريق أخلاقية، فالقتال حصري ضد من يرفع السلاح، أما النساء، والصبيان، والرهبان في صوامعهم، ومن لم يشارك في العدوان، فهم في مأمن تام فلقد كان الهدف كسر شوكة الاعتداء لا محو الوجود الإنساني، ولم يكن مفهوم الدفاع محصوراً في مواجهة الأجنبي فحسب بل امتد لحماية أمن المجتمع من البغي الداخلي الذي يهدد السلم الأهلي، ويبرز التاريخ هنا موقف الإمام علي بن أبي طالب مع الخوارج فعلى الرغم من انتمائهم للإسلام، إلا أنهم حين استباحوا الدماء وبثوا الرعب، كان لزاماً حماية الدولة، تذكر الروايات بمرارة كيف بقروا بطن امرأة حامل وقتلوا عبد الله بن خباب بن الأرت صبراً ، مما حول مواجهتهم من خلاف سياسي إلى "ضرورة دفاعية لحفظ أرواح الأبرياء ويروي لنا التاريخ أن حروب النبي لم تكن أداة لفرض العقيدة بالقوة، فالدعوة كانت وما زالت تقوم على الحكمة والموعظة الحسنة، كان الهدف من القتال الإصلاح المدني" " ومع ذلك فهو يسلك في دفاعه أحسن طريقة يسلكها المدافعون وأقربها إلى السلام والصلاح . يقدّم الموعظة ، ويدعو إلى الصلاح والسلام ، ويجنح إلى السلم ، ويجيب إلى الهدنة ، ويقبل عهد الصلح مع عرفانه "[٤٤] وتثبيت نظام العدل الذي يرفع نير الظلم والطبائع الوحشية الجائرة، لقد كان النبي يفضل السلم في كل موطن يلوح فيه أمل للهدنة، فكان يقبل الصلح ويجيب إلى العهد، ويقدم الموعظة على المواجهة، مدركاً أن النصر الحقيقي هو الذي يحقن الدماء و يرسي قيم التسامح.

ومما تقدم نستطيع القول إن المتأمل تاريخيا في غزوات العهد النبوي يجدها سلسلة من الردود الدفاعية ضد عدوان المشركين، فكانت حربه حرب قيم، وسيفه سيف إصلاح، ومسيرته استكمالاً لقوله تعالى: {قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ؛ فالحق يبني، والعدوان يهدم، والمسلم لا يقاتل إلا ليبقي البنيان قائماً على قواعد العدل.

وقبل بزوغ فجر الرسالة المحمدية، كانت الحرب في عرف العرب قدراً تساق إليه القبائل بدافع العصبية العمياء لم يكن المحرك للقتال يتجاوز حدود الرغبة في السيطرة على مورد ماء، أو النزاع على مرعى أخضر، أو استجابة لشهوة الانتقام وطلب الزعامة.

ولعل التاريخ لم يحفظ مشهداً أكثر عبثية من حرب داحس والغبراء ؛ تلك المأساة التي استنزفت أرواحاً لا تحصى على مدار أربعين عاماً، ولم يكن فتيلها الأول سوى سباق بين فرسين هكذا كانت الأرواح في الجاهلية تبذل رخيصة في سبيل أوهام الفخر والنهب والسلب.

وعلى النقيض تماماً، جاء العهد النبوي ليضع حداً لهذا النزيف العبثي لم يعد القتال وسيلة للغلبة، بل أداة اضطرارية لتقويم البغي وإرساء العدل، لقد رسم القرآن الكريم منهجاً فريداً يقضي بإصلاح ذات البين، وجعل مواجهة "الفئة الباغية" ضرورة لمنع الظلم لا لإيقاعه.

وتجلت هذه الفلسفة العميقة حيث ان "الله سبحانه وتعالى امر بإصلاح ذات النبي صلى الله عليه واله وسلم بين المسلمين المتخاصمين ومقاتلة الفئة الباغية ومنعها عن الظلم وقد اكده النبي صلى الله عليه واله وسلم في قوله انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلومًا، أفرايت إذا كان ظالمًا كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره "[٤٥] لقد كانت صدمة للمنطق الجاهلي الذي يرى النصرة في مؤازرة القريب مهما جار، فأعاد النبي تعريف النصرة لتصبح كفّاً ليد الظالم عن ظلمه، وحجزاً له عن غيه، فمنع الإنسان من ارتكاب الجور هو في حقيقته أعظم نصر يُقدم له لينجو بنفسه في الدنيا والآخرة. إن الحروب في عهد النبوة لم تدنسها أطماع السلب أو شهوات سفك الدماء ، بل كانت نزيهة تترفع عن دناءة الانتقام "فكانت الحروب في الماضي تستباح فيها انفس المقاتلين وغير المقاتلين ،ويقع التخريب بلا حد ، والقتل للاسرى .. وما ان كان ظهور الاسلام في القرن السابع الميلادي وانتشار تعاليمه حتى تغيرت النظرة الى الحرب وفي جميع النواحي من فلستها وبواعثها وانذاراتها "[٤٦] كان الباعث الأصيل لها هو إعلاء كلمة الله ليكون الدين خالصاً من الشرك وتحرير الانسان بنقل الناس من ضيق عبادة العباد" إلى رحابة "عبادة رب العباد" و إرساء العدل كبديل للطبائع الوحشية التي كانت تستبيح المستضعفين لقد كانت سيوف المسلمين في تلك المعارك تحمل رسالة هداية قبل أن تحمل الموت؛ فلم تكن تطلب سبي النساء أو نهب الموارد، بل كانت تطلب أن يفيء المشركون إلى ظلال التوحيد، حيث يتساوى الجميع أمام عدالة السماء ، وتنتهي عهود الوحشية والقسوة إلى الأبد.

الخاتمة

كشفت الدراسة أن الوجدان الجاهلي كان محكوماً ببوصلة الاقتصاد والثأر؛ فالحروب لم تكن خياراً سياسياً بقدر ما كانت ضرورة معيشية تفرضها شحة الموارد أو صرخة كرامة جريحة تطلب الانتقام، وفي هذا الفضاء المشتعل، كان الشعر الجاهلي هو ديوان الحرب ومنبرها الإعلامي إذ لم تكن القصائد مجرد فن بل كانت وقوداً يشعل الحماس ويحرض القبائل على المناجزة، لقد كانت النزاعات الحدودية في ذلك العصر مرآة تعكس مجتمعاً مفتتتا يفتقر إلى المركزية، حيث الولاء للقبيلة يتقدم على كل قيمة، والتنافس على الكلاء والمرعى يبرر إبادة الأنفس اما فجر الإسلام، شهدت الجزيرة العربية تحولاً دراماتيكيا إذ بدأت النزاعات القبلية تتلاشى لتفسح المجال لقيم العدل والمساواة، وهنا نصل إلى

جوهر النتائج وهي ان " مجيء الإسلام اذ أنه تطلب تشريعاً إسلامياً لتنظيم أمور الماء والكلأ ومنع التقاتل عليهما ومنها قول الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم : الناس شركاء في ثلاث الماء والكلأ والنار "[٤٧]

كان القتال في عهد النبوة دفاعيا لا هجوميا فلم يكن يوماً طلباً لتوسع جغرافي أو استعراض للقوة، بل كان درعاً يحمي الدعوة الوليدة والمجتمع المسلم من مخالب الأخطار التي أحاطت به من الداخل والخارج فكانت استراتيجية النبوة تهدف في المقام الأول إلى تحقيق الاستقرار الاجتماعي، وكسر حلقة العنف العبثي التي دامت قروناً وحروب التاريخ النبوي لم تكن "ابتدائية" المجرد فرض الدين، بل كانت ضرورة للإصلاح المدني والديني لانتزاع المظلوم من يد الظالم، ولتثبيت أركان نظام يحترم الإنسان.

إن النتيجة الأهم التي اهتدينا إليها هي أن الإسلام قد السن الحرب فبينما كان الشاعر الجاهلي يغذي نيران الحقد، جاء الهدى النبوي ليضع الجاماً أخلاقيا للسيف، لقد أثبت البحث أن دين الإسلام هو دين الرحمة بحق، ليس في سكون السلم الحسب، بل في أتون المعارك ووسط النزاعات، حيث تحفظ الحقوق، وتصان الأنفس، وتقدم الموعظة على المواجهة.

الهوامش

١. أيام العرب في الجاهلية ، محمد احمد جاد المولى واخرون ، دار احياء الكتب ،مصر ، ط١، ١٩٤٢ ، ص ١٥٣

٢. ينظر– جزيرة العرب قبل الإسلام– برهان الدين دلو دار الفرابي بيروت – ط١ – ١٩٨٩ – ص٧٦٦–٧٦٧

٣. جزيرة العرب قبل الإسلام – برهان الدين دلو – دار الفرابي بيروت – ط١ –١٩٨٩ – ص٧٦٣

٤. تاريخ العرب القديم _ د توفيق برو _ دار الفكر المعاصر دمشق _ ط٢ ١٩٩٦_ ص ٢٠٣

٥. الشعر في حرب داحس والغبراء ، د. عادل جاسم البياتي ، العراق ، النجف ، ١٩٧٢ ،ص ٧٧

٦. ينظر المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام– جواد علي – ساعدت في نشره جامعة بغداد – ط٢ – ١٩٩٣ – ج٥ – ص٣٤٣–٣٨٧

٧. ينظر تاريخ العرب القديم _ د توفيق برو _ دار الفكر المعاصر دمشق _ ط٢ ١٩٩٦_ ص ٢٠٥

٨. سنن ابي داوود – رقم الحديث ٣٤٧٧

٩. تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية _ صالح احمد العلي _ شركة المطبوعات بيروت_ ط٢ _ ٢٠٠٣_ ص١٩٥

١٠. ينظر الكامل في التأريخ – ابن الاثير – المجلد الأول – دار الأفكار الدولية – ص١٤١–١٤٦

١١. تاريخ الشعوب الإسلامية _ كارل بروكلمان_ ت منير البعلبكي _ مطبعة دار العلم بيروت _ ط٥ _١٩٦٨_ ص ١٨

١٢. تاريخ الجاهلية_ عمر فروخ _ دار العلم بيروت _ ص٧٨

١٣. البطولة في الشعر العربي قبيل الإسلام_ مؤيد اليوزبكي_ دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٨_ص٨٨

١٤. ينظر تاريخ اليعقوبي _ احمد ابن ابي يعقوب _ مطبعة الغري النجف ١٣٥٨ _ج٢_ص١١

١٥. ينظر تاريخ الرسل والملوك – تح محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف القاهرة – ط٢ – ج٢– ص٢٠١–٢٠٢

١٦. تاريخ ابن خلدون_ عبد الرحمن بن محمد_ دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان _ج١_ ص٢٧١

١٧. سنن ابن ماجة – الحافظ ابي عبدالله محمد بن يزيد القزويني– تح، محمد فؤاد عبد الباقي – دار احياء الكتب العربية– ج١–ص٤٣

١٨. العصر الجاهلي – شوقي ضيف –مطبعة زادة، قم ، ٢٠٠٦ – ص٦٠

١٩. المغازي والسير_ الواقدي _تحقيق مارسدن جونسن_ مكتب الاعلام الاسلامي قم _ ١٩٩٧_ج١_ص٤٧٧

٢٠. جوانب من تاريخ وحضارة الجزيرة العربية في العصور القديمة_ احمد امين _ دار المعرفة مصر _٢٠٠٩ _ ص٣٠٣

٢١. سورة النحل – الآية ٢٦

٢٢. سورة الحج – الآية ٣٩

٢٣. الحرب في الاسلام وفي المجتمع الدولي المعاصر , توفيق وهبة ، المجلس الاعلى لشؤون الاسلامية ، ١٩٧٣ ، ص ١٨

٢٤. سورة البقرة – الآية ١٩٠

٢٥. الميزان _ الطباطبائي_ج٢_ ص٦١

٢٦. العقد الفريد_ ابن عبد ربه_ تقديم وتعليق احمد يسري الغرباوي – القاهرة ١٩٩٢_ص١٥٥

٢٧. اثار الحرب في لفقه الاسلامي _ وهبة الزحيلي _ دار الفكر دمشق ١٩٩٨_ ط٣_ ص٩٣_٩٤

٢٨. سورة الانفال – الآية ٣٩

٢٩. صحيح البخاري) ١٢٣(

٣٠. الجهاد في الاسلام_ توفيق علي وهبة_ دار اللواء الرياض١٩٨١_ ط٤ _ ص٣٩_٤٠

٣١. فلسفة الحرب والسلام في الاسلام ، د. سلمان التكريتي ، مجلة كلية الاداب ، عدد ٦٨ ،ص ٣٤٨

٣٢. سورة الممتحنة – الآية ٨

٣٣. قانون السلام في الاسلام (دراسة مقارنة) – د.محمد طلعت الغنيمي . المعارف – مصر – ص ٥٥

٣٤. سورة الحج – الآية ٤٠

٣٥. ينظر الميزان – الطباطبائي – ج٢ – ص٦١-٦٢

٣٦. سورة التوبة – الآية ٤١

٣٧. سورة النحل – الآية ١٢٦

٣٨. سورة النساء – الآية ٧٥

٣٩. في ظلال القران _ سيد قطب _دار الشروق القاهرة_ ط ١٧ _ج٣_ص١٤٣٣

٤٠. السيرة النبوية – بن هشام – تح مصطفى الصقا- دار الفكر- المجلد الأول – ج١- ص٥٠١-٥٠٤

٤١. سورة التوبة – الآية ١٢

٤٢. سورة الانفال – الآية ٥٨

٤٣. سورة الحج – الآية ٣٩

٤٤. سماحة الاسلام في حقوق الاقليات في مدرسة اهل البيت_ العذاري _ ص٤٥

٤٥. صحيح البخاري _ محمد بن اسماعيل البخاري _ الحديث ٦٩٥٢_ص ١٢٢٩

٤٦. نظرية الحرب في الاسلام واثرها في القانون الدولي العام – د. ضو مفتاح غمق . جمعية الدعوة الاسلامية العالمية . بنغازي . ط١ – ١٤٢٦ _ص١١

٤٧. مستند الشريعة في أحكام الشيعة_النراقي _ تحقيق مؤسسة اهل البيت لاحياء التراث_ مشهد ١٩٨٤_ ج١٤_ ص ٣٠٧

المصادر

- اثار الحرب في لفقه الاسلامي _ وهبة الزحيلي _ دار الفكر دمشق _ ط٣ _ ١٩٩٨.
- أيام العرب في الجاهلية ، محمد احمد جاد المولى واخرون ، دار احياء الكتب ،مصر ، ط١، ١٩٤٢ .
- البطولة في الشعر العربي قبيل الإسلام_ مؤيد اليوزبكي_ دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٨
- تاريخ ابن خلدون_ عبد الرحمن بن محمد_ دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان _ج١_
- تاريخ الجاهلية_ عمر فروخ _ دار العلم بيروت
- تاريخ الرسل والملوك – تح محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف القاهرة – ط٢ – ج٢.
- تاريخ الشعوب الإسلامية _ كارل بروكلمان_ ت منير البعلبكي _ مطبعة دار العلم بيروت _ ط٥ _١٩٦٨_ ص ١٨
- تاريخ العرب القديم _ د توفيق برو _ دار الفكر المعاصر دمشق _ ط٢ ١٩٩٦
- تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية _ صالح احمد العلي _ شركة المطبوعات بيروت_ ط٢ _ ٢٠٠٣ .
- تاريخ اليعقوبي _ احمد ابن ابي يعقوب _ مطبعة الغري النجف ١٣٥٨ _ج٢.

- جزيرة العرب قبل الإسلام – برهان الدين دلو – دار الفرابي بيروت – ط١ –١٩٨٩
- الجهاد في الاسلام_ توفيق علي وهبة_ دار اللواء الرياض_ ط٤ _ ١٩٨١
- جوانب من تاريخ وحضارة الجزيرة العربية في العصور القديمة_ احمد امين _ دار المعرفة مصر_٢٠٠٩
- الحرب في الاسلام وفي المجتمع الدولي المعاصر, توفيق وهبة ،المجلس الاعلى لشؤون الاسلامية ، ١٩٧٣
- سماحة الاسلام في حقوق الاقليات في مدرسة اهل البيت_ العذاري
- سنن ابن ماجة – الحافظ ابي عبدالله محمد بن يزيد القزويني– تح، محمد فؤاد عبد الباقي – دار احياء الكتب العربية.
- السيرة النبوية – بن هشام – تح مصطفى الصقا– دار الفكر– المجلد الأول – ج١.
- الشعر في حرب داحس والغبراء ، د. عادل جاسم البياتي ، العراق ، النجف ، ١٩٧٢ .
- صحيح البخاري _ محمد بن اسماعيل البخاري _ الحديث ٦٩٥٢ .
- العصر الجاهلي – شوقي ضيف –مطبعة زادة، قم ، ٢٠٠٦ .
- العقد الفريد_ ابن عبد ربه_ تقديم وتعليق احمد يسري الغرباوي – القاهرة ١٩٩٢.
- فلسفة الحرب والسلام في الاسلام ، د. سلمان التكريتي ، مجلة كلية الاداب ، عدد ٦٨ .
- في ظلال القران _ سيد قطب _دار الشروق القاهرة_ ط ١٧ _ج٣_.
- قانون السلام في الاسلام (دراسة مقارنة) – د.محمد طلعت الغنيمي . المعارف – مصر .
- الكامل في التأريخ – ابن الاثير – المجلد الأول – دار الأفكار الدولية .
- مستند الشريعة في أحكام الشيعة_النراقي _ تحقيق مؤسسة اهل البيت لاحياء التراث_ مشهد_ ١٩٨٤.
- المغازي والسير_ الواقدي _تحقيق مارسدن جونسن_ مكتب الاعلام الاسلامي قم _ ١٩٩٧ .
- المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام– جواد علي – ساعدت في نشره جامعة بغداد – ط٢ – ١٩٩٣ .
- الميزان – الطباطبائي – ج٢ .
- نظرية الحرب في الاسلام واثرها في القانون الدولي العام – د. ضو مفتاح غمق . جمعية الدعوة الاسلامية العالمية . بنغازي . ط١ – ١٤٢٦

---

[١] ١_ أيام العرب في الجاهلية ، محمد احمد جاد المولى واخرون ، دار احياء الكتب ،مصر ، ط١، ١٩٤٢ ، ص ١٥٣

[٢] – ينظر– جزيرة العرب قبل الإسلام– برهان الدين دلو دار الفرابي بيروت – ط١ – ١٩٨٩ – ص٧٦٦–٧٦٧

[٣] – جزيرة العرب قبل الإسلام – برهان الدين دلو – دار الفرابي بيروت – ط١ –١٩٨٩ – ص٧٦٣

[٤] _ تاريخ العرب القديم _ د توفيق برو _ دار الفكر المعاصر دمشق _ ط٢ ١٩٩٦_ ص ٢٠٣

[٥] _ الشعر في حرب داحس والغبراء ، د. عادل جاسم البياتي ، العراق ، النجف ، ١٩٧٢ ،ص ٧٧

[٦] – ينظر المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام– جواد علي – ساعدت في نشره جامعة بغداد – ط٢ – ١٩٩٣ – ج٥ – ص٣٤٣–٣٨٧

[٧] _ ينظر تاريخ العرب القديم _ د توفيق برو _ دار الفكر المعاصر دمشق _ ط٢ ١٩٩٦_ ص ٢٠٥

[٨] – سنن ابي داوود – رقم الحديث ٣٤٧٧

[٩] _ تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية _ صالح احمد العلي _ شركة المطبوعات بيروت_ ط٢ _ ٢٠٠٣_ ص١٩٥

[١٠] – ينظر الكامل في التأريخ – ابن الاثير – المجلد الأول – دار الأفكار الدولية – ص١٤١–١٤٦

[١١] _ تاريخ الشعوب الإسلامية _ كارل بروكلمان_ ت منير البعلبكي _ مطبعة دار العلم بيروت _ ط٥ _١٩٦٨_ ص ١٨

[١٢] _ تاريخ الجاهلية_ عمر فروخ _ دار العلم بيروت _ ص٧٨

[١٣] _ البطولة في الشعر العربي قبيل الإسلام_ مؤيد اليوزبكي_ دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٨_ص٨٨

[١٤] _ ينظر تاريخ اليعقوبي _ احمد ابن ابي يعقوب _ مطبعة الغري النجف ١٣٥٨ _ ج٢_ص١١

[١٥] – ينظر تاريخ الرسل والملوك – تح محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف القاهرة – ط٢ – ج٢– ص٢٠١–٢٠٢

[١٦] _ تاريخ ابن خلدون_ عبد الرحمن بن محمد_ دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان _ج١_ ص٢٧١

[١٧] – سنن ابن ماجة – الحافظ ابي عبدالله محمد بن يزيد القزويني– تح، محمد فؤاد عبد الباقي – دار احياء الكتب العربية– ج١–ص٤٣

[١٨] – العصر الجاهلي – شوقي ضيف –مطبعة زادة، قم ، ٢٠٠٦ – ص٦٠

[١٩] _ المغازي والسير_ الواقدي _تحقيق مارسدن جونسن_ مكتب الاعلام الاسلامي قم _ ١٩٩٧_ج١_ص٤٧٧

[٢٠] _ جوانب من تاريخ وحضارة الجزيرة العربية في العصور القديمة_ احمد امين _ دار المعرفة مصر _٢٠٠٩ _ ص٣٠٣

[٢١] – سورة النحل – الآية ٢٦

[22] – سورة الحج – الآية ٣٩

[٢٣] _ الحرب في الاسلام وفي المجتمع الدولي المعاصر , توفيق وهبة ، المجلس الاعلى لشؤون الاسلامية ، ١٩٧٣ ، ص ١٨

[٢٤] _ سورة البقرة – الآية ١٩٠

[٢٥] _ الميزان _ الطباطبائي_ج٢_ ص٦١

[٢٦] _ العقد الفريد_ ابن عبد ربه_ تقديم وتعليق احمد يسري الغرباوي – القاهرة ١٩٩٢_ص١٥٥

[٢٧] _ اثار الحرب في الفقه الاسلامي _ وهبة الزحيلي _ دار الفكر دمشق ١٩٩٨_ ط٣_ ص٩٣_٩٤

[٢٨] – سورة الانفال – الآية ٣٩

[٢٩] – صحيح البخاري (١٢٣)

[٣٠] _ الجهاد في الاسلام_ توفيق علي وهبة_ دار اللواء الرياض١٩٨١_ ط٤ _ ص٣٩_٤٠

[٣١] _ فلسفة الحرب والسلام في الاسلام ، د. سلمان التكريتي ، مجلة كلية الاداب ، عدد ٦٨ ،ص ٣٤٨

[٣٢] – سورة الممتحنة – الآية ٨

[٣٣] _ قانون السلام في الاسلام (دراسة مقارنة) – د.محمد طلعت الغنيمي . المعارف – مصر – ص ٥٥

[٣٤] – سورة الحج – الآية ٤٠

[٣٥] – ينظر الميزان – الطباطبائي – ج٢ – ص٦١–٦٢

[٣٦] – سورة التوبة – الآية ٤١

[٣٧] – سورة النحل – الآية ١٢٦

[٣٨] – سورة النساء – الآية ٧٥

[٣٩] _ في ظلال القران _ سيد قطب _دار الشروق القاهرة_ ط ١٧ _ج٣_ص١٤٣٣

[٤٠] – السيرة النبوية – بن هشام – تح مصطفى الصقا– دار الفكر– المجلد الأول – ج١– ص٥٠١–٥٠٤

[٤١] – سورة التوبة – الآية ١٢

[٤٢] – سورة الانفال – الآية ٥٨

[٤٣] – سورة الحج – الآية ٣٩

[٤٤] _ سماحة الاسلام في حقوق الاقليات في مدرسة اهل البيت_ العذاري _ ص٤٥

[٤٥] _ صحيح البخاري _ محمد بن اسماعيل البخاري _ الحديث ٦٩٥٢_ص ١٢٢٩

[٤٦] _ نظرية الحرب في الاسلام واثرها في القانون الدولي العام – د. ضو مفتاح غمق . جمعية الدعوة الاسلامية العالمية . بنغازي . ط١ – ١٤٢٦ ، ص ١١

[٤٧] _ مستند الشريعة في أحكام الشيعة_النراقي _ تحقيق مؤسسة اهل البيت لاحياء التراث_ مشهد ١٩٨٤_ ج١٤_ ص ٣٠٧